وصايا إلى سكينة

[الطويل]

أرِقْتُ ولم آرَق لِسُقْمِ أصابني،
أُراقِبُ لَيلاً ما يزولُ طويلا
إذا خَفَقَتْ منه نجومٌ، فحلّقَتْ،
تبيَّنْتُ من تالي النّجومِ رعيلا[١]
فلمّا مضتْ من أوّلِ اللّيلِ هجْعَةٌ،
وأيقنْتُ من حِسِّ العيونِ غُفُولا
دخلتُ على خوفٍ، فأرّقْتُ كاعباً،
هضيمَ الحشا[٢]، ريَّا العظامِ[٣]، كَسُولا
فهبّت تُطيعُ الصوتَ نشوى[٤] منَ الكرى[٥]،
كمغتبقِ الرَّاحِ[٦] المُدامِ[٧] شَمولا[٨]
فعضّتْ على الإبهامِ منها مَخافةً
عَلَيّ، وقالت: قد عجِلْتَ دُخُولا
فهلّا، إذا اسْتيْقَنْتَ أنَّك داخلٌ،
دَسَسْتَ إلينا في الخلاءِ رَسُولا؟
فَنَقْصُرَ عنَّا عينَ مَنْ هو كاشِحٌ،
وَتَأْتي، ولا نَخْشى عليكَ دَلِيلا
فقلتُ: دعاني حُبُّكُم، فأجبْتُهُ
إليكِ، فقالتْ: بل خُلِقْتَ عَجُولا

(١) تالي النجوم: ما بقي منها في سماء الليل.
(٢) هضيم الحشا: ضامرة البطن.
(٣) ريا العظام: مكتنزة باللحم الذي يغطي عظامها.
(٤) نشوى: سكرى. (٥) الكرى: النعاس.
(٦) مغتبق الراح: شارب الخمرة عند المساء.
(٧) المدام: من أسماء الخمرة.
(٨) الشمول: الخمرة التي بردت بريح الشمال.

فلمّا أفضْنا في الهوى نستبثُّهُ[١]،
وعاد لنا صعبُ الحديثِ ذلولا
شكوتُ إليها الحُبّ أُعْلِنُ[٢] بعضَهُ،
وأخفيتُ منه في الفؤادِ غليلا
فقلتُ: صِلي مَن قد أسَرتِ فؤادَهُ،
وعادَلَهُ فيكِ النّصوحُ عَذُولا
فصدّتْ، وقالت: ما تزالُ مُتَيَّماً،
«سك»[٣] وإنْ كنتَ الصحيحَ قتيلا
صدودَ شَموسٍ[٤]، ثم لانتْ، وقرّبتْ
إلَيَّ، وقالت لي: سأَلْتَ قَليلا!
قدَرْتَ على ما عِندَنا من مودّةٍ،
ودائمِ وَصْلٍ، إنْ وجدْتَ وُصُولا
لقد حَلِيَتْكَ العَينُ أَوَّلَ نَظْرَةٍ،
وأُعطِيتَ منّي، يا ابنَ عمٍّ، قَبولا
فأصبَحْتَ هَمّاً للفؤادِ، ومُنْيَةً،
وَظِلّاً مِنَ النُّعمى عَليَّ ظَليلا
أميراً على ما شِئْتَ مِنّي، مُسلَّطاً،
فَسَلْ، فَلَكَ الرَّحمنُ يمنَحُ سُولا
فقلْت لها: يا سُكْنَ[٥] إنّي لَسائلٌ
سُؤَالَ كَريمٍ، ما سأَلْتُ، جَميلا

(١) ورد البيتان التاليان في الأغاني ١: ١٤٦. ويروى «تستبينه» بدلاً من «نستبثُّه».
(٢) ورد البيت في الأغاني ١: ١٤٤. ويروى «أظهر» بدلاً من «أعلن». ويروى «عليلا» بدلاً من «غليلا».
(٣) مسك: هكذا وردت في الأصل، ولعلّها من أسماء الأصوات.
(٤) شموس: نفور.
(٥) سُكْن: ترخيم سُكنة بحذف التاء.

سَـأَلْـتُ بِـأنْ تَـعْـصـي بِـنـا قـولَ كـاشـحٍ،
وَإِنْ كـــان ذا قُـــرْبَـــى لَـــكـــم، وَدَخِـــيـــلا
وأَنْ لا تـزالَ الـنَّـفْـسُ مِـنـكِ مُـضِـيـفـةً[١]
عَـلـيّ، وتُـبـدي، إِنْ هـلـكْـتُ، عَـوِيـلا
وأَنْ تُـكـرِمـي يـومـاً، إذا مـا أتـاكُـمُ
رسـولٌ، لِـشَـجْـوٍ[٢]، مُـقْـصِـراً ومُـطِـيـلا
وأَنْ تـحـفـظـي بِـالـغـيـبِ سِـرِّي، وتـمْـنَـحـي
جَـلِـيـسَـكِ طَـرْفـاً، فـي الـمَـلامِ، كَـلِـيـلا

وداع الثريا

وقال حين ودع الثريا راحلة عنه إلى زوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان في مصر وقد وقف ينظر إليهم وهم يرحلون ثم أتبعهم بصره حتى غابوا:

[البسيط]

يـا صـاحـبـيّ، قـفـا نـسـتـخـبـرِ الـطَّـلـلا
عـن بـعـضِ مَـن حـلّـهُ بـالأمـسِ مـا فَـعَـلا؟
فـقـال لـي الـرَّبْـعُ، لـمَّـا أَنْ وَقَـفْـتُ بـه:
إنّ الـخـلـيـطَ أجَـدَّ الـبـيـنَ وَاحـتـمـلا[٣]
وخـادعَـتْـكَ الـنَّـوى، حـتـى رأيْـتَـهُـمُ
في الفجرِ، يحتثُّ حادي عِيرهم[٤] زَجِلا[٥]
لـمَّـا وقـفـنـا نُـحـيّـيـهـمْ، وقـد صَـرَخَـتْ
هَـواتِـفُ الـبـيـنِ، فـاسْـتـولَـتْ بـهـم أُصُـلا[٦]

---

(١) مضيفة: خائفة.
(٢) الشجو: الحاجة.
(٣) وردت الأبيات الثلاثة الأولى في الأغاني ١: ٢٢٧. واحتملا: هيّأ أمتعته على الدواب للرحيل.
(٤) يروى «عيسهم» بدلاً من «عيرهم». والعِير، بكسر العين: القافلة.
(٥) الزجل: الصوت.
(٦) ورد البيت في الأغاني١: ٢٢٨. والأصل: العشايا.